

## المقال الخامس

### أثر قدامى المصريين في الطب اليوناني\*

تبلغ الأواصر التي ربطت بين مصر واليونان من القدم والمتانة، ما جعل الأساطير تروى عنها المعجب والمطرب منذ العهود التي سبقت التاريخ المدون.

ولم يقتصر التبادل بين مصر واليونان على السلع والعلوم والفنون، بل تعداه إلى تبادل الهجرة، فعمر (داناوس) المصرى شبه جزيرة البلوبونيز، كما استوطن الإغريق شمال الدلتا، وتحالف الشعبان واشتركا في الحروب، ومن ذلك أن شعوب البحار، وهم سكان كريت، خفت لنجدة أحس عندما حرر بلاده من الهكسوس. وقد استمرت تلك العلاقات ودية وطيدة الأركان دون انقطاع أو فتور طوال الأربعين قرناً التي سجلها تاريخها.

وهذا الأمر لا يدع مجالاً للشك في أن علوم الطب قد تبودلت بينهما، وما يعزز هذا الرأي تقدير الإغريق للطب المصرى، قال (هوميروس) في (الأوديسة)<sup>(٩٣)</sup> : «إن هيلانة ابنة الإله القدير (زوس) تكتنز هذا البلم الشافى، فقد جاءها من (بوليدامنا) زوجة (ثونيس) المصرى، لأن مصر الخصيبة غنية بنباتات بعضها مفيد والبعض الآخر ضار. وكل إنسان في مصر يلم بفن العلاج، إذ إن المصريين من سلالة (بيون) طبيب الالهة». وفي العصور التالية نجد (أنا خارسيس) يخاطب مواطنيه الإغريق، ويؤنبهم على تفضيلهم الأطباء المصريين على أطبائهم.

ولذا فإن أود أن أعرض لبعض العلاقات التي يمكن الكشف عنها بالمقارنة بين الطبيين من بعض نواحيهما، وهى فن العقاقير، وأسماء أجزاء الجسم، والأوصاف

\* الجمعية المصرية لتاريخ العلوم - العدد الرابع، سبتمبر سنة ١٩٦٣، القاهرة.

الإكلينيكية، وتسمية الأمراض، والطرائق الجراحية، واختبارات الحمل والولادة، وأسلوب الكتابة، والآراء الطبية.

### العقاقير:

لست أستند إلى العقاقير الاعتيادية التي استعملها الشعبان، لأن مثل هذا التشابه في الاستعمال قد يكون نتيجة طبيعية لتشابه المجموعة النباتية في هذه الناحية من حوض البحر المتوسط، وإنما تصح المقارنة إذا تجاوز التشابه احتمالات المصادفات، إما لغرابية الدواء، وإما لتشابه الاسم في اللغتين.

أقول - بادئ ذي بدء - إن (ديوسقوريدس)<sup>(٩٤)</sup> صاحب الأقرابازين الذى ظل أساساً لعلم العقاقير حتى عهد قريب، رد ٢٠ في المائة مما ذكره إلى المصريين، وسرد أسماء تلك العقاقير في اللغتين.

ولنضرب مثلاً لعقاقير غريبة وردت في الطين، فإن (برديه إرس) ماتفتاً توصي باستعمال الصفرة لعلاج العينين<sup>(٩٨)</sup>. وقد قدم (دوسن)<sup>(٩٥)</sup> حججاً قوية على أنهم إما قصدوا صفرة الخنزير. وقد أوصى (ديوسقوريدس)<sup>(٩٦)</sup> باستعمال المادة نفسها في بعض الأمراض، وعزا (بليونس) تلك الوصفة إلى (ميليتوس)<sup>(٩٧)</sup>، لكن (دوسن) يرجح أنها استمدت من بردية مصرية. وتلك الوصفة شبيهة للعلاج الذى أعاد البصر إلى (طوبيا) حسب رواية التوراة<sup>(٩٨)</sup>

والوصفة الثانية من تلك الوصفات الغريبة هي استعمال لبن المرأة التى أنجبت طفلاً ذكراً، وهذا العلاج يتكرر في أقرابازين المصريين القدامى، حتى أنه يبدو أساساً من أسس علاجهم، إما للإفادة من خواصه الذاتية، وإما لإذابة عقاقير أخرى. وهذا العلاج أوصى به أيضاً (أبقراط)<sup>(٩٩)</sup> وبعده (ديوسقوريدس)<sup>(١٠٠)</sup> و(بليونس)<sup>(١٠١)</sup>، وفسر (أرسطو) فوائده التى تميزه عن غيره من الألبان فقال: إن السيدة التى تحمل ذكراً أقوى بدون شك من تلك التى تحمل أنثى، ولذا فلا بد من أن يكون لبنها أكثر فائدة<sup>(١٠٢)</sup>، وتلك الوصفة أصيلة في مصر، انفردت بها دون غيرها من شعوب الشرق، إذ إن اللبن في نظر الآشوريين والبابليين كان مادة ضارة.

ولنذكر وصفين آخرين من تلك الوصفات الغريبة التي نقلها الإغريق عن المصريين :

أولاهما وصفة شوك القنفذ المحروق لعلاج الصرع<sup>(١٠٨)</sup>، التي نقلها (ديوسقوريدس).  
وثانيتهما استعمال البول في مرهم لمنع رموش العين من التقرح، وفي شراب لعلاج البول  
الدموي<sup>(١٠٣)</sup> والصرع<sup>(١٠٤)</sup>، وهاتان الوصفتان وردتا في مؤلفات (ديوسقوريدس)<sup>(١٠٥)</sup>  
و<sup>(١٠٦)</sup> (ويلينيوس)<sup>(١٠٧)</sup> والأقباط<sup>(١٠٨)</sup>.

ولكن أغرب تلك الوصفات جميعاً، وصفة وردت في قرطاسة سحرية أوصت بغلي  
فأر في الزيت لتأكله الأم أو الطفل لشفاء سيل اللعاب واضطرابات نمو الأسنان عند  
الأطفال<sup>(١٠٩)</sup>، وقد أكد الكشف عن عظام فأر داخل جثة في نجع الديبر<sup>(١١٠)</sup> أن هذا  
العلاج العجيب كان يستعمل فعلاً، ومن الغريب أن (ديوسقوريدس)<sup>(١١١)</sup>،<sup>(١١٢)</sup> ذكره،  
وأن (دوسن) وجده مستعملاً إلى الآن في الأوساط الشعبية في عدة بلاد أوربية<sup>(١١٣)</sup>.

#### اسماء العقاقير المتشابهة في اللغتين :

نجد هذا التسلسل نفسه في أسماء بعض العقاقير :

العقار	الاسم اللاتيني	الاسم الإغريقي	الاسم المصري
الأنثومان	ستبيوم	ستيمي	مسلمت
الصمغ	جومى	كومى	قيت
النوشادر	أمونياك	أمونياكوس	(مشتق من اسم الإله آمون؟)
الحتيت	أسافيدا	ساجابتون (بتبادل أول حرفين)	جسفن (بتبادل أول حرفين)
النظرون	تروم	ترون	نترى (أحد أوصاف هذه المادة)

ومن البين أننا - عند استعمال شوك القنفذ لإغماء الشعر، وإعطاء الفتران ذوات الأسنان الطويلة لعلاج الأسنان، وشرب البول للشفا من البول الدموي - نتقل إلى عالم آخر، عالم السحر التشبيهي.

### أسماء الأعضاء :

وهذا التشابه نجد له نظيراً في أسماء بعض الأعضاء والأمراض، فقد سمى الإغريق حداقة العين (كورى) أى الشابة، وسمها المصريون (شابة العينين). وهذه التسمية لها نظير في اللاتينية وهو (Pupilla) أى البنت القاصر. والأسبانية وهو (nina de les ojos) (صبية العينين). كما أنه يشابه الاسم الذى أطلقه العرب على الحدقة وهو (إنسان العين). أى أن الاستعارة المصرية نقلها الإغريق ثم اللاتين والعرب والأسبان- فى لغتهم. ولن نترك العينين دون أن نشير أيضاً إلى أن (الماء الأبيض) الذى سماه الغربيون بالكاتركتا (أى الشلال) سماه المصريون (صعود الماء)، والإغريق (أيبوخيسيس) انسكاب الماء، واللاتين (Cataracta) بالمعنى نفسه.

وإذا تأملنا فى المعدة والقلب وجدنا خلطاً لغوياً عجيباً بينهما فى أغلب اللغات. فقد أطلق المصريون على المعدة (رو - نيب) ومعناها فم القلب، كما نعمل اليوم فى لغتنا الدارجة، وبالمثل فإن الإغريق سموها (ستوماخون) وهو لفظ مشتق من (ستوما) أى فم، ونحن نطلق بالإنجليزية واللاتينية كلمة (Cardia) أى القلب على أعلى المعدة، ونقول عمن يشعر بميل للتقيؤ (قلبه قايم عليه).

وهناك لفظ آخر متشابه فى اللغتين. فإن النظرة الروحانية إلى المرض التى عمت بين بعض المصريين، كانت تنسب المرض إلى أرواح شريرة على رأسها كبير سموه (الناسمى)، وهذا هو الذى سماه الإغريق (diabolos)، ومعناها كذلك (الناسمى)، وقد اشتقت منها الإنجليزية (devil)، والفرنسية (diable) والإيطالية (diavolo).

### العلاجات الجراحية :

ولكن التشابه لم يقف عند مجرد الاقتباس اللفظى، ولناخذ مثلاً وسائل العلاج

الجراحية : وردت في (أبقراط)<sup>(١١٤)</sup> التحريكات التي يجب إجراؤها لرد خلع الفك : « يثبت المساعد رأس الجريح، ويمسك الفك الأسفل من الداخل والخارج بالقرب من اللقن بالأصابع. ثم ينقل فجأة.. إلخ » وهي ترجمة لفظية لما ورد في (قرطاسة إدوين سميث)<sup>(١٢٢)</sup>، وقد رسمت في مؤلف للطبيب القبرصي (أبولونيوس) عن طريق أبقراط العلاجية<sup>(١١٦)</sup>.

### كسر الترقوة :

(بردية إدوين سميث) : الحالة ٣٥ : إذا تفحصت رجلاً مصاباً بكسر في الترقوة ووجدت بها قصراً، فقل : هذا مرض سأعالجه، وألقه على ظهره، ثم ضع بين اللوحين وسادة حتى يتعد جزءاً ترقوته ويرجع الكسر إلى موضعه.

(أبقراط) : كتاب المفاصل<sup>(١١٥)</sup> : « ولكن هناك طريقة وهي كما يلي : إن كان القصر قد انتقل في اتجاه المحور الأمامي والخلفي ألقى المريض على ظهره وضع بين اللوحين شيئاً مرتفعاً حتى ينخفض الصدر من الجانبين بالقدر الممكن.

### ولتندرج الآن إلى وسائل التكهّن في الحمل والولادة :

تحوى (قراطيس برلين، وكارلزبرج، وإبرس، وكاهون) مجموعات من الاختبارات التي كان الغرض منها التكهّن بنوع الطفل قبل ولادته وإلى التمييز بين السيدات الخصيبات وبين غيرهن. وتلك الطرائق متشابهة إلى حد بعيد يدعوننا إلى التساؤل هل هي مأخوذة من أصل واحد عتيق؟

قد يكون هذا الأصل الموسوعة التي تحدث عنها (كليمان الإسكندري)<sup>(١١٧)</sup> والتي قال عنها إنها كانت تحفظ منذ عهد سحيق بالمعابد المصرية، وإن الجزء الخامس منها موضوعه أمراض النساء، والسادس موضوعه الرمد، ومن الحجج التي دفعت (إفرسن)<sup>(١١٨)</sup> إلى اعتناق الرأي بأن (قرطاسة كارلزبرج) من تلك الموسوعة، أن واجهتها مخصصة لأمراض النساء كالجزء الخامس وظهرها للرمد كالجزء السادس<sup>(١١٩)</sup>.

ولتلك الاختبارات أنواع ثلاثة :

أما النوع الأول فإنه مبني على تأثير بول الحامل على نمو القمح أو الشعير، حسب

نوع الطفل الذى تحمله، وهذا النوع من الاختبارات وجدته (إبل)<sup>(١٢٠)</sup> مذكورًا في كتابات (قسطنطين الإفريق)<sup>(٥١)</sup>،<sup>(١٢١)</sup> الذى نقل مؤلفات كثيرة مدعيًا وضعها، وقد كان (إبرن) استنتج من هذا أن بعض الأصول المصرية كان في متناول (قسطنطين) في ترجمة قبطية أو عربية. إلا أن (إفرسن)<sup>(١١٨)</sup> كشف في مؤلف لطبيب من فلورنسا وهو (بتروس بايروس) عن الوصفات نفسها التى نقلها عن بعض الأصول البيزنطية. ومن الأصول البيزنطية التى ذكرت النص ذاته (الكودكس بولينى ليسانيس) المائل لمؤلف (Peri eforiston) المنسوب إلى (جالينوس)، ومنها أيضًا بعض التراجم المتأخرة (لسورانس) التى دمت فيها، حسب رأى (إفرسن)، تلك الطريقة. وتلك الملاحظات - أى وجود النصوص ذاتها في كتابات بيزنطية توحى بأن بعض الوصفات المصرية وصلت عن طريق الإغريق إلى سالرنو حيث كان (قسطنطين)، ومنها إلى أوربا<sup>(١٢١)</sup> و<sup>(١٢٢)</sup> و<sup>(١٢٣)</sup>.

وأما النوع الثانى من الاختبارات فإنه يبدو مبنياً على فكرة معقولة، وهى أن هناك اتصالاً بين المهبل وبين التجويف البطنى عند السيدات الخصيات، وأن هذه الطريق مسدودة عند السيدات العقيات. ذلك أن الوصفة ٢٨ من قرطاسة (كاهون)، ووصفة من الجزء الثالث من كتاب (السيدات العقم) (لابقراط)، توصيان بوضع بصلة طوال الليل داخل المهبل. فإن فاحت رائحة البصل من الفم في اليوم التالى استدل على أن السيدة سوف تحمل. وكذلك أوصت الوصفة ١٩٥ من (قرطاسة برلين) وأخرى من (قرطاسة كارلزبرج)<sup>(١١٩)</sup> بالتبخير تحت السيدة المطلوب اختبارها، فإن تجشأت (تكرعت) فإن الحمل ممكن. ومثل تلك التجربة بالتبخير وردت في (فصول أبقراط)، وإن اختلفت العوارض التشخيصية، وهى ظهور رائحة المادة المبخرة في الفم مثلما تظهر في وصفة البصلة. وقد ذكر أيضاً هذا الاختبار عن طريق الفم في (قرطاسة برلين) (رقم ١٩٣) حيث جاء أن السيدة إذا تقيأت بعد أكل بطيخ ممزوج بلبن امرأة أنجبت طفلاً ذكراً، فإنها سوف تحمل، أما إذا أخرجت ربحاً فإنها لن تحمل. وفي (كتاب السيدات العقيات لابقراط)<sup>(١٢٤)</sup> أوصى بإعطاء (بوتيون) مع لبن من النوع نفسه فإذا تجشأت<sup>(١٢٢)</sup> الحامل استدل على أنها ستلد وإلا فإنها لن تحمل، وقد أكد دوسن بعد دراسة لغوية مستفيضة أن (البوتيون) هو نوع من القرع يشابه البطيخ، بل ربما كان هو البطيخ، الذى أسماه

المصريون (بددوكا)، وهذا هو لفظ يشابه تسميتنا العربية الحالية (بطيخ) لهذا النبات. ولم يكتف (أبقراط) بهذا، بل أكد إن هناك مواد أخرى تسبب الانفعالات نفسها<sup>(١٢٣)</sup> كشراب العسل المخمر (الفصول، ٤١) ولكن فكرة الاختبار في كل الحالات متشابهة تشابهاً يكاد يكون تاماً.

والمجموعة الثالثة من تلك الاختبارات، وردت في (قرطاسة كارلزيبرج) وهي مبنية على لون العينين، وتلك طريقة استعملها (أبقراط) كذلك لتشخيص الحمل أو التكهين به<sup>(١٢٤)</sup>.

لهذا يصح لنا أن نرجح أن بعض أجزاء موسوعة مصرية في أمراض النساء وصلت إلى (أبقراط) مجزأة فنقلها، ثم نقلها منه أطباء بيزنطيون، وبعدهم أطباء سالرنو، ومن ثم علماء أوربا، كما أن هذا يوضح السبيل الذي قد تكون طرقت به بواقي الطب الفرعوني الواضحة في الطب الشعبي الأوربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وإذا تناولنا الدورة الدموية فإن معلومات المصريين تبدو أصح من آراء (أبقراط) فيها. فقد ورد في (قرطاسة إبرز) - قبل (هارفي) بأربعين قرناً - أن القلب يستقبل الدم والهواء والسوائل ويوزعها، وأن النبض الذي يستحس في مختلف أجزاء الجسم إن هو إلا كلام القلب فيها. وهذا ما جهله الإغريق.

ولكن هل عد المصريون ضربات القلب؟ إن هذا العد ذكره لأول مرة في التاريخ (هيروفلوس السكندري) الذي استعمل لهذا الغرض ساعة مائية. وتلك الآلات التي لا غنى عنها للعد عرفها المصريون منذ عهد تحتمس الثالث إن لم يكن قبله. وهناك عبارة في (بردية إدوين سميث) ترجمت (عد النبض أو وزنه) وترجمها (جرايو) (قياس القلب)<sup>(١٢٧)</sup> ورجح بريستد أن المقصود هو عد النبض<sup>(١٢٨)</sup>، ومن عجيب المصادفات حقاً أن يكون أول من ذكر عد النبض عالم اسكندري، إذ أن أطباء تلك المدينة عندما بدأ البطالة يدرون عليهم المساعدات واللوان التشجيع، كانوا ورثوا مدارس ومكتبات الدلتا التي كان عاهل الفرس (دارا) قد أعاد بناءها وتزويدها بالملؤفات قبل هذا بعدة قرون، وكانت ما تزال تزخر بالملؤفات في القرن الثاني، فقد قال (ديودور الصقلي): إن أطباء الإغريق كانوا يؤمنون مكتبة منف للاطلاع على ما فيها من الكتب ذوات القيمة.

ثم إن كتاب القلب في (قرطاسة إدوين سميث) يبدأ بالعنوان الآتي: «هذا بدء كتاب الطبيب السرى». هل كان إذن قياس سرعة القلب أحد تلك الأسرار التي حسباً روى (سترابو) لم يفشها كهنة مصر لزوارهم؟

وهناك مشاهدة أخرى تبدو كأنها وثبت من القراطيس إلى كتابات (أبقراط) وهي معرفة الشلل الذي يحدث من جرح في المخ أو النخاع الشوكي. فلقد وصف (أبقراط) في كتابة عن جروح الرأس والتقلصات التي تنتاب جزء الجسم المناقض لجهة الرأس<sup>(١٢٩)</sup> (وهو في هذا أصوب من المصريين)، ولكنه ربطها لا بالجرح ذاته، وإنما بالالتهاب الذي يضاعفه، وعلى كل حال فإنه لم يذكر شأن المخ في ذلك معتقداً أنه غدة وذلك نظراً إلى طبيعته الإسفنجية. وإليك النص:

«وإذا أهمل الطبيب في البحث عن كسر أو شرخ أو كدم، فلم يكحت العظمة ولم يترينها فإن الحمى تصيب المريض ويتغير لون الجرح ويصبح لزجاً أشبه باللحم المملح، ويبدأ عندئذ يفتنر ويموت المريض في حالة هذيان».

وهناك مرض آخر ينسب أول وصف له إلى (أبقراط) وهو (التيتانوس) وقد يكون سبقه إليه مؤلف (قرطاسة إدوين سميث) في وصف الحالة السابعة وهي حالة كسر جمجمة تبعه تقلص في الرقبة وتعوج في الفم، ولو أن الأستاذ الدكتور عماد كامل حسين اعترض على هذا التشخيص وعدها حالة التهاب سحاق<sup>(١٣٠)</sup>، وقد قالت القرطاسة إن المرض قاتل «ما لم تظهر علامات تراخ» لدى الفحص الثالث. ويمكن مقارنة هذا القول بما ورد في (أبقراط)<sup>(١٣١)</sup> فقد قال إن المريض (بالتيتانوس) يبرأ إذا انقضى أربعة عشر يوماً بعد بدء المرض، وهذه الفكرة هي فكرة «الأيام البحرانية» التي هي من صميم أفكار (أبقراط) والتي تم على اهتمامه بمعرفة مآل المرض الذي أفرد له مؤلفاً كاملاً أسماء العرب (تقدمة المعرفة)، ولكن المصريين أبدوا الاهتمام نفسه فقد ذيلوا كل مشاهدة من مشاهداتهم السريرية بعبارة تدل على رأيهم في نهاية الحالة واحتمال إشفائها.

ولننظر الآن إلى أمراض النساء. فقد وصفت (قرطاسة كاهون) وغيرها اضطرابات وآلاماً في العينين والأعضاء ومختلف أجزاء الجسم، عزتها إلى حالات مرضية في الرحم

أو إلى انتقال هذا العضو من محله الطبيعي، وجاء الوصف ذاته في الكتاب الثانى من مؤلف (أبقراط) عن أمراض النساء. ومن تلك الاضطرابات مرض عصبي. وقد يكون من المناسب أن نذكر في هذا الصدد أن لفظ (هستريا) مشتق من (هستر) وهو الرحم في لغة الإغريق.

أما علاج تلك الأمراض فقد ورد في (قرطاسة إبرس) علاج لا نبساط عنق الرحم وهو مرض وصفه أيضاً (أبقراط)<sup>(١٣٢)</sup> ويذكرنا هذا بمرض آخر غريب اشترك الشعبان في وصفه وهو اتساع حدقة العين التى سبق أن ذكرنا تشابه اسمها المصرى واسمها الإغريق. فقد عنيت (قرطاسة إبرس) (ص ٦٩) بوصف علاج له. ويبدو لنا وصف علاج لمثل تلك الحالة عجيبة، ولكن اليونان اعتبروا هذا الاتساع مرضاً<sup>(١٣٣)</sup>،<sup>(١٣٤)</sup> والأرجح أنهم لاحظوا اتساع الحدقة عند فقدان البصر فظنوه سبب تلك العاهة.

وبعد هذه الجولة في الأمراض وأسمائها والعقاير ووصفها، يجدر بنا أن نقارن بين المنهج اللغوى الذى نهجوه في الكتابات الطبية. نستنتج أولاً أن التبادل كان مطرداً نشيطاً بين المنهج اللغوى الذى نهجوه إذ إن تعريفة من (قرطاسة لندن) كان يشترط فيها أن تتلى بلغة كريت<sup>(١٣٥)</sup>، وقد أظهر (دوماس)<sup>(١٣٦)</sup> أن تعبيرات وأساليب لغوية تكررت في الكتابات المصرية تلازم العودة في الكتابات الأبقراطية، فإن عبارات مثل «دواء آخر» و «الوفار ماكون» بالمعنى ذاته، والعبارة التى كثيراً ما تتكرر فى الهوامش (دواء ناجع)، والتوصية بترك الدواء معرضاً لندى الليل، كلها مشتركة بين الطينين.

### الآراء الطبية :

وهناك سؤال يتبادر إلى الذهن، لقد قورن طب المصريين بطب الإغريق وميز الثانى على الأول إذ نعت الأول بالشعوذة والروحانية ووصف الثانى بالمنطقية والتعقل والاعتماد على الاختبار، ولكن الاعتبارات السالفة تدفعنا إلى التساؤل؟ ألم توجد بينها بالإضافة إلى مجرد الاقتباسات العملية مشاركة في التفكير الطبي.

علينا أول الأمر أن نسلم بافتقارنا إلى مصادر كافية وإلى أصول تسمح لنا بمعرفة نظر علماء المصريين القدامى إلى الصحة والمرض معرفة كاملة، فإن كل مسأله ثمانية

قراطيس طبية، أحدها طبي بالنعى الصحيح، ولا تزيد الأخرى على كونها خليطاً غير متجانس من المشاهدات الطبية، وأصرخ أنواع الشعوذة، هذا في حين أن عدد المؤلفات الإغريقية الأصيلة تخصى بالثبات. ولذا وجب علينا أن نترث قبل الحكم، فهناك احتمال الكشف عن برديات جديدة تلقى ضوءاً أنصع على أساليب تفكير أجدادنا. فنقلب نظرتنا إلى طبيهم كما فعلت (بردية إدوين سميث) من قبل.

ومع ذلك ومع قلة ما ورد في النصوص عن أسباب الأمراض وكيفية حدوثها فإنه يبدو لنا أن كتاب «القلب والأوعية» وبعض النصوص المبعثرة في البرديات المختلفة تحوى نشأة نظرية الاخلاط الإغريقية ونظرية النفث (Pneuma) التي سادت جزءاً من الفكر الطبي في الإسكندرية.

لقد ناقشنا هذا الموضوع بالتفصيل في بحث سابق (انظر المقال الرابع) استنتجنا منه أنه يجب علينا - إن لم تصل إلينا معلومات جديدة- الاكتفاء بالقول إن نظرية الاخلاط الإغريقية الأصل التي سادت الفكر الطبي حتى القرون الأخيرة، ربما تكون قد أسست على تأملات الأطباء المصريين، ولكنها لم تصل إلى شكلها النهائي إلا بعد تطور طويل على ضوء آراء (أنباد قليس، وفيثاغورس، وألقمايون، وأبقراط) الفلسفية والرياضية.

ولقد أراد البعض إدخال الشك في قيمة الطب المصرى وفي الفائدة التي جناها منه أمثال (أبقراط)، فبدءوا بالقول بأن (أبقراط) لم يحضر إلى مصر أبداً، وإن الروايات عن زيارته مشكوك في صحتها، لأنها روايات متأخرة قروناً عديدة بعد وفاته، ثم أضافوا أنه لم يكن على علم باللغة المصرية القديمة ولا بالهيروغليفية، فكيف تأق له أن يتصل بالكهنة ويتعرف على أسرارهم. وانتهوا بالقول بأن علوم المصريين كانت مزيجاً من الشعوذة والسحر والطب البدائي، ولم يكن به غناء لأبقراط وأمثاله.

وقد عنى عالم فرنسى (الأستاذ فرانسوا دوما) بالإجابة على كل هذا، فأظهر أولاً أن أول كاتب تحدث عن زيارة (أبقراط) لمصر كان معاصراً له، ثم أن علوم المصريين لم تكن على ما وصفها هؤلاء، فإنها كانت متقدمة جداً وإن كنا نجهد الكثير منها لقلة المستندات التي وصلتنا عنها. ثم أتى بالبرهان على وجود تبادل لغوى نشيط بين الجالية الإغريقية وبين المصريين، ظهر في استعمال الالئين أساليب متبادلة وكلمات مشتركة، وذكر

لندعم هذا وجود مترجمين (ترجمة) في المعابد والعواسم من الإغريق والمصريين يلمون كل الإلام باللغتين، ليساعدوا التجار والمسافرين والزوار والسيح في معاملاتهم مع المصريين.

إن هذا العرض السريع لست أنتقص بتاتا من قيمة طب الإغريق بالبحث عن أصول له، ولكن كل نهر له منابع، وأكبر الأنهار وأجلها أكثرها روافد وأصولا، ولذا فإن الهدف من تلك المقارنات إنما هو تأكيد وحدة الحضارة التي ازدانت بها شواطئ البحر الأبيض المتوسط في فجر التاريخ، والتي نشأت في مصر ثم تناوها الإغريق فوصلت إلى قمتها عندما اجتمع المنطق الإغريق والواقعية المصرية، فظهرت معجزة الإسكندرية التي كانت منهلا لعلوم العصور العتيقة، حتى أصبحت منبعاً لحضارتنا الحالية عندما ارتوى منها العرب وأثروا أجمل ثمار العلوم والمعارف.